Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences Volume (8), Issue (2) August(2025)

ISSN: 2957-3874 (Print)
Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences (JFHS)
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/95
مجلة الفارابي للعلوم الإنسانية تصدرها جامعة الفارابي

ظل المعنى في الأسلوب القرآني

علي حسين أميح
بإشراف: أ.م.د: أحمد رشيد حسن
جامعة بغداد / كلية العلوم الإسلامية
ali.amih2202p@cois.uobaghdad.edu.iq

ملخص البحث

يتناول هذا البحث موضوع "ظل المعنى في الأسلوب القرآني"، بوصفه أحد الأبعاد الدلالية العميقة التي تتجاوز المعنى المعجمي المباشر إلى الإيحاءات النفسية والتأثيرات الوجدانية التي تتركها الألفاظ القرآنية في المتلقي. وقد سعى البحث إلى تأصيل مفهوم "ظل المعنى" من خلال ربطه بالتراث البلاغي والتفسيري الإسلامي، مبينًا حضوره الضمني في كتابات علماء كعبد القاهر الجرجاني وابن عاشور وسيد قطب، ثم انتقل إلى دراسة خصائص المعنى القرآني من حيث شموله، وتعدد طبقاته، وانفتاحه على مختلف المستويات الإدراكية، ومرونته في الدلالة مع ثبات مقصده. وتوصّل البحث إلى أن ظل المعنى يشكل عنصرًا أساسيًا في الأسلوب القرآني، يُسهم في تعميق أثر الرسالة الإيمانية والبيانية، ويُعين على فهم الإعجاز القرآني في أبعاده النفسية والجمالية، كما أنّ التمييز بين المعنى وظله يُعدّ شرطًا أساسًا للتفسير الموضوعي المنضبط.

Abstract
This research explores the concept of the "shade of meaning" (ẓill al-maʿnā) in the stylistic structure of the Qur'anic discourse. It is a semantic dimension that goes beyond the literal, lexical meaning, delving into the psychological, emotional, and aesthetic effects that Qur'anic words evoke in the listener or reader. The study grounds this concept in the Islamic rhetorical and exegetical tradition, drawing from the insights of scholars such as ʿAbd al-Qāhir al-Jurjānī, Ibn ʿĀshūr, and Sayyid Quṭb.The research also examines the unique characteristics of Qur'anic meaning—its comprehensiveness, its multi-layered nature, its accessibility to both general and specialized audiences, and its dynamic relevance across time and place. It concludes that the "shade of meaning" is a key element in understanding the inimitability of the Qur'an, enhancing its psychological and spiritual impact, and that distinguishing between direct meaning and its aesthetic shade is essential for an objective and disciplined interpretation of the Qur'anic text.

مقدمة البحث

يمثّل "ظل المعنى" بعدًا دلاليًا بالغ الأهمية في تحليل الخطاب القرآني، إذ لا يقتصر فهم النصوص القرآنية على المعاني المعجمية الظاهرة، بل يتعدّاها إلى الإيحاءات النفسية، والحمولات البلاغية، والتأثيرات الشعورية التي تلامس وجدان المتلقي وتفتح له آفاقًا من التدبّر والتأمّل. ولئن كان مصطلح "ظل المعنى" حديث النشأة في الدراسات النقدية واللسانية المعاصرة، فإنّ جذوره تمتدّ في عمق التراث البلاغي الإسلامي، حيث نجد إشاراته متفرقة في كتابات عبد القاهر الجرجاني والزمخشري والرازي وابن عاشور، وغيرهم من علماء البيان والتفسير الذين أدركوا أن فهم النص القرآني يتجاوز المستوى اللفظي إلى ما يتصل بروح العبارة ونغمتها وسياقها.إنّ دراسة "ظل المعنى" تتيح لنا استكشاف الأسلوب القرآني في أبعاده النفسية والجمالية والدلالية، وتُعين على إدراك جوانب الإعجاز البياني التي لا تكشفها البنية الظاهرة وحدها. من هنا تنبع أهمية هذا البحث الذي يسعى إلى تحليل مفهوم "ظل المعنى" في الخطاب القرآني، وبيان أثره في توجيه الفهم والتفسير، واستحضار خصائص المعنى القرآني المرتبطة بمرونته، وتعدد طبقاته، وشموله الزماني والمكاني.وقد قُسّم البحث إلى مجموعة من المطالب، ركّز أولها على مفهوم ظل المعنى وإشاراته القرآنية، ثم تناول المطلب الثاني خصائص المعنى القرآني بوصفه إطارًا لفهم الظلال المعنوية وتأثيرها، ليُستكمل لاحقًا في مطالب أخرى بالتطبيقات النصّية والمقارنات الدلالية التي تُبرِز الفروق بين المعنى وظله في البناء القرآني.

المطلب الأول: مفهوم ظل المعنى واشاراته القرآنية

أولًا: مفهوم ظل المعنى واشاراته القرآنية

١-"ظل المعنى" المفهوم مصطلح حديث نسبيًا، بدأ يبرز في الدراسات اللسانية والنقدية المعاصرة، لكنه كان حاضرًا في الجوهر في كتابات البلاغيين والمفسرين المسلمين الأوائل، وإن لم يسمّوه بهذا الاسم، ظل المعنى: هو المعاني الإيحائية والانفعالية والثانوية التي تتركها الألفاظ في ذهن السامع أو القارئ، نتيجةً لعوامل كثيرة كالسياق، والمقام، والنغمة، والتكرار، والتركيب، والتراكم الثقافي والاجتماعي حول الكلمة، حسب ما أكد عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز: "ليس الغرض من الكلام أن يُعلم السامع فقط بما يصدق عليه اللفظ، بل أن يحرّك نفسه، ويوقظ وجدانه، ويُدخل عليه من الانفعال ما يُناسب المقام"[١].

وهو بذلك يشير إلى ما نسميه اليوم "ظل المعنى"، وهو الأثر النفسي أو الشعوري للكلمة، فوق معناها المعجمي المباشر.

٢. ظل المعنى في القرآن الكريم: القرآن الكريم يستخدم ألفاظًا ذات طاقة دلالية عالية، تجعلها تحمل المعنى الأساسي وظلالًا من المعاني ترتبط بالإيقاع، والصورة، والمشهد، والقرائن السياقية.مثلًا في قوله تعالى: {أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى * ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى} [القيامة: ٣٤-٣٥]اللفظ "أولى" قد يُفهم بمعناه المباشر "الهلاك"، ولكن ظلاله الصوتية والتكرارية والنبر القوي يوحي بالتهديد والتقريع والإبعاد.قال سيد قطب: هذه العبارة تحمل في طياتها هدير الغضب، ونبرات الوعيد، وهي تهز النفس لما تحمله من ظل اللفظ والصوت والتركيب"[٢]. الفرق بين أهمية التمييز بينهما في فهم المعنى القرآني تحقيق التفسير الموضوعي للنص: بالفصل بين المدلول اللفظي وما قد يتبادر إلى الذهن من إيحاءات نفسية.فهم بلاغة القرآن: ظل المعنى يكشف عن أسرار التصوير الفني والانسجام الصوتي الذي لا تدركه المعاني العقلية وحدها.اتقاء التحميلات الذاتية: دون التمييز بين المعنى وظله قد ينسب إلى القرآن ما لم يدل عليه نصه، بناءً على مشاعر القارئ أو تذوقه الخاص.الربط بين التفسير والذوق الأدبي: فالقرآن يُفسَّر بمعناه، ويُتذوَّق بظلال معانيه المعنى وظل المعنى:

ثانيًا: أهمية ظل المعنى في التفسير واثره

اولا- الاهمية يُعين على فهم الإعجاز البياني حيث يكشف عن مقاصد أعمق من المعنى الظاهري كذلك يساعد على إدراك تعدد مستويات الخطاب القرآني.قال الطاهر بن عاشور: "القرآن لا يُفهم على وجهه إلا لمن جمع بين ظاهر المعاني وأسرار البلاغة، إذ كثير من دلالاته تكمن في التقديم والتأخير، واللف والنشر، والإيقاع الصوتي"[٣]

ثانيا - أثر هذه الظلال في الفهم والتفسير: تساعد على تجاوز التفسير الحرفي الجامد.توجّه المفسر إلى مراعاة السياق والمقام والنغمة النفسية. تفتح المجال للتذوق البلاغي والوجداني للنص.

المطلب الثاني: خصائص المعنى القرآني

أولًا: شمول المعنى القرآني وامتداده الزمني من أبرز خصائص المعنى في القرآن الكريم أنه شامل ومستوعب للزمن والإنسان والمكان، فهو ليس خطابًا لفئة محددة أو زمن معين، بل هو موجه لجميع الناس في كل العصور، على اختلاف مداركهم وثقافاتهم.قال تعالى: {هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ} [إبراهيم: ٥٢]، وقال: {إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ} [ص: ٨٧]قال الرازي: "القرآن خطاب عامّ، والمعاني التي يحملها قابلة للتطبيق عبر الأزمان، لا تستنفدها فترة ولا بيئة"[٤]، ولهذا امتاز المعنى القرآني بأنه: يُخاطب البدويّ والفيلسوف، والعامي والعالم. يُقدّم الحقائق الكبرى بلغة يفهمها الناس جميعًا، حيث يجمع بين البساطة والعمق، وبين التثبيت والتأمل.ثانيًا: تنوّع طبقات المعنى القرآني من خصائص المعنى في القرآن تعدد طبقاته، فهو: يحتوي على المعنى الظاهر الذي يدركه كل سامع. ويحمل معاني أعمق لا يدركها إلا من تدبر وامتلك أدوات الفهم.قال الزركشي: "للقرآن ظاهر وباطن، وحدّ ومطلع، ولا يحيط بكل معانيه أحد"[٥] وقال ابن عباس: "في القرآن لكل آية ظهر وبطن، وحد ومطلع"[٦] وهذا ما يفسر وجود التفاوت في فهم الصحابة والتابعين للنص نفسه، كلٌّ بحسب إدراكه، وثقافته، وتجربته.ثالثًا: المعنى القرآني بين العامة والخاصة من عظمة القرآن أن معانيه تتوجه إلى: العامة بلغتهم وسياقاتهم وأمثالهم، والخاصة بإشارات ومعاني دقيقة وعميقة.قال ابن عاشور: "القرآن يُخاطب الناس جميعًا، وكلٌ يأخذ منه بقدر علمه وفهمه، كالسيل يأخذ منه الظمآن والراوي والحوض والبحر"[٧]ففي آية واحدة قد يجد الفقيه مسألة، والمفسر قاعدة، والصوفي إشارة، والعامي موعظة. وهذا لا يدل على التناقض، بل على غنى المعنى وثرائه.رابعًا: المعنى القرآني واحتواؤه للحقائق الكونية والتاريخية والنفسية يتميّز المعنى القرآني بقدرته على احتواء مختلف أنواع الحقائق، فهو لا يقتصر على التوجيه التعبّدي أو الأخلاقي، بل يتناول: الحقائق الكونية: كالخلق، والسماوات، والأرض، وتعاقب الليل والنهار، والمطر، والنبات، والبحار... إلخ.قال تعالى: {وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ * وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ} [الذاريات: ٢٠-٢١].حيث يشير الطباطبائي: الى أن القرآن لا يقدم المعرفة الكونية كتقرير علمي، بل يربطها بالله،

ليكون كل مشهد كوني مدخلًا للمعنى الإيماني كما السور والآيات التي يعرض فيها العلامة الطباطبائي هذه الفكرة بشكل عام في تفسيره "الميزان"، يمكن العثور على هذا النوع من التأويل في عدة مواضع، خاصة في تفسير الآيات التي تتحدث عن خلق السماوات والأرض أو الظواهر الكونية. سورة آل عمران (آية ١٩٠-١٩١): "إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّي أُولِي الْأَلْبَابِ".في تفسيره لهذه الآيات، يربط الطباطبائي بين التفكر في خلق السماوات والأرض وبين الإيمان بالله تعالى.سورة يونس (آية ٥): "هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ".هنا يشير الطباطبائي إلى كيفية الربط بين الآيات الكونية والمعرفة الإيمانية.ففي هذه المواضع، يعرض الطباطبائي الكون ليس فقط كظواهر مادية أو علمية، بل كمدخل لفهم المعاني الإيمانية التي تدل على قدرة الله وحكمته. [٨]الحقائق التاريخية: من خلال عرض القصص القرآني، يُقدّم القرآن سردًا يحمل معاني العِبرة والعظة والهداية، وليس مجرد نقل أحداث، أو أن القرآن لا ينزل إلى تفصيل العلوم التجريبية (مثل الكيمياء والفيزياء)، بل يستخدم الظواهر الطبيعية كآيات تدعو إلى الإيمان بالله.هذه الفكرة أساسية جدًا عند: ابن عاشور (في تفسيره)، محمد عبد الله دراز وكذلك محمد متولي الشعراوي [٩]قال تعالى: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ} [يوسف: ١١١]. ويقول الرازي: "القصص القرآني ليس غايته الحكاية، بل بيان السنن الإلهية التي تتكرر في المجتمعات"[١٠]فالحقائق النفسية: القرآن يصفها بدقة طبائع النفس، حالات الفرح والخوف، الكبر، الشك، الطغيان، الإنكار، التوبة، الصبر... كما يؤكد ذلك سيد قطب: "ما من كتاب وصف النفس البشرية بدقة وصدق، كما وصفها القرآن، في لحظة ضعفها، أو انكسارها، أو عنادها"[١١]

خامسًا: مرونة المعنى القرآني وثبات المقصد من الخصائص المتفرّدة للمعنى القرآني:

أنه ثابت في مقصده ومراده، لكنه مرن في تطبيقه وفهمه عبر العصور، بحسب تطور السياق والعلم والمعرفة، كقوله تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ} [الأنفال: ٦٠]فالآية تُحيل إلى "القوة"، وهي مفهوم متجدد: كانت في السابق بالرمي، واليوم بالعلم والتكنولوجيا والاقتصاد، وهذا ما يُشير إليه، الشاطبي: "الخطاب الشرعي يجري على مقاصد لا تتغيّر، بألفاظ يمكن تنزيلها على الوقائع المتغيرة"[١٢]خامسًا: الظلال المعنوية في الخطاب القرآني (أمثلة تطبيقية)تتجلى ظلال المعاني في النص القرآني بأبهى صورها، إذ لا يقتصر القرآن على إيصال المعنى العقلي أو اللغوي فقط، بل ينسج معانيًا شعورية ووجدانية تُلامس وجدان المتلقي، وتعمق أثر الرسالة. وفيما يلي أمثلة تطبيقية توضح هذه الظلال:

١. مثال من سورة الفجر:قال تعالى: {فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ} [الفجر: ١٥]، ثم يقول: {وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ}التركيب هنا لا يقتصر على الإخبار، بل يحمل ظلًّا معنويًا يُعري النفس البشرية التي تربط الإكرام والرزق بالمكانة، وتظن أن التقدير الإلهي يُقاس بالمادة.ويقول الزمخشري: "في قوله: {فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ}، استعارة فيها إيحاء بالضيق والانقباض، وهو أدق في نقل شعور الإنسان حين يشحّ عليه الرزق"[١٣]

٢. مثال من سورة الضحى: قال تعالى: {مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى} [الضحى: ٣]في ظاهر الآية نفي التوديع والبغض، لكن في ظل المعنى، نجد: طمأنينة وعطفًا رقيقًا.رفعًا لحرج نفسي واستحضارًا للعلاقة الحميمة بين النبي وربه.قال فخر الدين الرازي: "الآية ليس فيها نفي الحدث فقط، بل فيها استحضار لحالة وجدانية ممتلئة بالعطف والرحمة والتثبيت، وهذا ما يُفهم من روح الآية وسياقها"[١٤]

٣. مثال من سورة القارعة، قال تعالى: {وَأَمَّا مَن خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ} [القارعة: ٨-٩]كلمة "أمّه" تحمل ظلًّا معنويًا صادمًا، إذ تُستخدم الأم كمأوى وملجأ، لكن هنا صارت "الهاوية" أمًّا. هذا التحول في الدلالة يُحدث رجة شعورية عند المتلقي.قال الطباطبائي: "الاستعارة في لفظ (أمّه) تخلق تماثلًا شعوريًا، لتبيّن أن مصيره النهائي، ومقرّه الأبدي، سيكون هو النار، فهي مأواه ومرجعه كما يُرجع إلى الأم"[١٥]

المطلب الثاني: خصائص المعنى القرآني

أولًا: شمول المعنى القرآني وامتداده الزمني من أبرز خصائص المعنى في القرآن الكريم اتساعه واستيعابه للأزمنة والأمكنة والناس على اختلاف مشاربهم، فهو خطابٌ موجه إلى الإنسان كلّ الإنسان، لا يختص بجيل دون جيل، ولا بأمة دون أخرى، بل هو بلاغ عالمي خالد. قال تعالى: {هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ} [إبراهيم: ٥٢]، وقال: {إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ} [ص: ٨٧].وقد أشار فخر الدين الرازي إلى هذه الخاصية بقوله: "إن القرآن خطاب عامّ، والمعاني التي يحملها قابلة للتطبيق عبر الأزمان، لا تستنفدها فترة ولا بيئة، وذلك من وجوه إعجازه [١٦]. وهذه الشمولية تعني أن ألفاظ القرآن لا تقف عند ظاهرها المباشر، بل تُسعف المتلقي في كل عصر على استنباط دلالات تتناسب مع معطيات الزمان والمكان. ولذلك كان المعنى القرآني منفتحًا على مستويات مختلفة من الفهم، حيث يُخاطب البدويّ والفيلسوف، والعامي والعالم، ويجمع بين البساطة في العبارة والعمق في الإشارة، مما يجعله صالحًا للتلاوة والفهم في كل الأزمان.

ثانيًا: تنوّع طبقات المعنى في النص القرآني يتميّز المعنى القرآني بتعدّد طبقاته ومستوياته، فهو يحتوي على معنى ظاهر تدركه الأفهام العامة، ومعاني باطنة لا يصل إليها إلا أصحاب التخصص والدراية، ممّن تمرّسوا في البلاغة والتفسير واللغة.وقد عبّر الزركشي عن هذه الخاصية بقوله: "للقرآن ظاهر وباطن، وحدّ ومطلع، ولا يحيط بكل معانيه أحد [١٧]. وأكّد ابن عباس هذا المعنى بقوله: "في القرآن لكل آية ظهر وبطن، وحد ومطلع [١٨]. مما يدل على عمق النص وتعدّد دلالاته بتعدّد أدوات الفهم ومستوى الإدراك.وهذا التنوع في الطبقات يفسّر التفاوت الكبير في مرويات الصحابة والتابعين حول معاني بعض الآيات، حيث كان كلٌّ منهم يفهم منها ما يناسب إدراكه وتجربته وثقافته، دون أن يعني ذلك التناقض أو التنافي.

ثالثًا: المعنى القرآني بين العامة والخاصة من خصائص المعنى القرآني قدرته على مخاطبة شرائح متعددة من المتلقّين في آن واحد، حيث يُخاطب العامة من خلال ألفاظ مألوفة وصور حسية قريبة، ويُخاطب الخاصة – من العلماء وأهل التفسير – بإشارات دقيقة وتراكيب مركّبة.يقول الطاهر بن عاشور في هذا السياق: "القرآن يُخاطب الناس جميعًا، وكلٌّ يأخذ منه بقدر علمه وفهمه، كالسيل يأخذ منه الظمآن والراوي والحوض والبحر [١٩]. فالقارئ العام يجد فيه موعظة، والفقيه يستنبط منه حكمًا، واللغوي يدرك بلاغة، والمتصوف يتلمّس إشارة روحية.وهذا التفاوت لا يدل على تعدد معانٍ متناقضة، بل على غنى النص ومرونته وقدرته على حمل دلالات متراكبة تفتح المجال للتفسير والتأويل.

رابعًا: احتواء المعنى القرآني للحقائق الكونية والتاريخية والنفسية من الخصائص البارزة للمعنى القرآني قدرته على احتواء شتى أنماط الحقائق: الكونية، والتاريخية، والنفسية، حيث يعرض القرآن هذه الأنواع من المعارف لا كأخبار أو توثيقات علمية، بل كوسائل للهداية والتأمل والتذكير بسنن الله في الأنفس والآفاق.يقول تعالى: {وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ * وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ} [الذاريات: ٢٠–٢١]، فالمعنى هنا لا يكتفي بالإخبار عن خلق الأرض والنفس، بل يحفّز على التفكّر فيها كآيات دالة على وجود الله وعظمته.وقد أشار العلامة الطباطبائي إلى أن عرض القرآن للظواهر الكونية لا يراد به إقامة المعرفة العلمية، بل تحويل المشهد الكوني إلى مناسبة إيمانية، يُفضي فيها التأمل إلى الإدراك الشعوري بقدرة الخالق [٢٠]. فمثلًا في تفسيره لقوله تعالى: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...} [آل عمران: ١٩٠]، يُبيّن كيف يرتبط الخلق بالإيمان من خلال التأمل لا التحليل العلمي.كما أنّ المعنى القرآني لا يغفل البُعد التاريخي، خاصة في القصص القرآني، الذي لا يُراد منه السرد، بل الاعتبار والتبصّر، قال تعالى: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ} [يوسف: ١١١]، وقال الرازي: "القصص في القرآن لبيان السنن الإلهية الجارية، لا لمجرد الحكاية [٢١].أما البعد النفسي، فيُعد من أبرز ما تفوّق فيه القرآن، إذ يرصد فيه حالات النفس الإنسانية بدقة نادرة، كما في الخوف، والحسد، والتكذيب، والغرور، والتوبة. وقد لاحظ سيد قطب هذه الخاصية فقال: "ما من كتاب وصف النفس كما وصفها القرآن، في لحظات ضعفها أو عنادها أو خشيتها أو خضوعها [٢٢].

خامسًا: مرونة المعنى وثبات المقصد من الخصائص المتفرّدة للمعنى القرآني أنّه يجمع بين الثبات في المقصد والمرونة في الدلالة، فالنص القرآني لا يتغيّر مع الزمان، لكن فهمه وتنزيله يظل متجددًا وفقًا للمعارف والسياقات المتعاقبة.يوضّح الشاطبي هذه الفكرة بقوله: "الخطاب الشرعي يجري على مقاصد لا تتغيّر، بألفاظ يمكن تنزيلها على الوقائع المتغيرة [٢٣]. وهذا ما يتّضح مثلًا في قوله تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ} [الأنفال: ٦٠]، فالـ"قوة" تتبدل من زمن إلى آخر: من رمي وسيف، إلى علم واقتصاد وتكنولوجيا.وهذا الجمع بين الثبات والمرونة يجعل المعنى القرآني غنيًا بالقابلية للتأويل دون أن يخرج عن مقصده الأصلي، وهي سمة تُميّزه عن النصوص البشرية المحدودة في دلالتها وسياقاتها.

نتائج البحث

١- ظل المعنى مفهومٌ دلاليّ مركّب، يتجاوز المعنى المعجمي المباشر إلى الإيحاءات النفسية، والوقع الشعوري، والانفعالات التي تولدها الألفاظ والتراكيب في السياق القرآني، وقد وُجد أصله في تراث البلاغيين كعبد القاهر الجرجاني وإن لم يُسمَّ بهذا الاصطلاح.

٢- الأسلوب القرآني يتميّز بتوليد ظلال متعددة للمعنى، ناتجة عن التكرار، النغمة، البناء الصوتي، والصورة البلاغية، مما يُضفي على النص طاقة دلالية تتجاوز مجرد الإخبار إلى التأثير والتحريك الشعوري للمتلقي. تمييز المعنى عن ظله ضرورة في التفسير الموضوعي، إذ يُسهم هذا الفصل في ضبط التلقي القرآني بين دقة المعنى المقصود وبين الذوق الذاتي، مما يحول دون تحميل النص ما لا يدل عليه ظاهرُه.

٣- خصائص المعنى القرآني تعزز من حضور الظلال المعنوية، فقد ظهر من خلال التحليل أنه يمتاز بالشمول الزماني والمكاني، وتعدد الطبقات الدلالية، والانفتاح على العام والخاص، واحتواءه للحقائق الكونية والنفسية والتاريخية.

٤- المرونة في دلالة المعنى مع ثبات المقاصد، تُبرز قدرة النص القرآني على مواكبة المتغيّرات، من دون إخلال بالمضمون الثابت، وهو ما يعزز فعاليته المستمرة في الإفهام والدعوة والهداية.

٥- ظل المعنى يعكس بعدًا جماليًا وروحيًا في النص القرآني، لا يمكن إدراكه عبر التحليل اللغوي وحده، بل يحتاج إلى تذوق بلاغي، واستحضار للمقام والسياق والشحنة النفسية للعبارات.

٦- أمثلة قرآنية عديدة تدل على توظيف مقصود لظلال المعنى، مثل تكرار {أولى لك فأولى}، واستخدام "أمه هاوية"، والنفي العاطفي في {ما ودعك ربك وما قلى}، وهي أمثلة تُثبت أن البعد الشعوري جزء أصيل من بنية الخطاب القرآني.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١- إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر، ط٢، ١٩٩٩م.

٢- جلال الدين السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.

٣- الرازي، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، دار إحياء التراث.

٤- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية.

٥- الزمخشري، الكشاف، دار المعرفة.

٦- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، ط١٧.

٧- الشاطبي، الموافقات.

٨- الشريف الرضي، نهج البلاغة، خطبة رقم (١٩٨)، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، بدون تاريخ.

٩- الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة النشر الإسلامي.

١٠- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، ط٤.

١١- محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

١٢- محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٠م.

١٣- محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم: نظرات جديدة في القرآن الكريم، دار القلم، دمشق، ط٥، ١٩٩٨م.

١٤- محمد متولي الشعراوي، معجزة القرآن، دار أخبار اليوم، القاهرة، ط٣، ١٩٩١م.

هوامش البحث

(١) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، ط٤، ص٨٢.

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، ط١٧، ج٦، ص٣٩٣١.

(٣) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج١، ص٢٢.

(٤) يُنظر: الرازي، التفسير الكبير، ج١٨، ص٢٣١ الطباطبائي، والميزان في تفسير القرآن، ج١، ص٥٨..

(٥) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، الجزء الثاني، صـ ١٤٧

(٦) الزركشي في البرهان (ج٢/ص١٤٧، طبعة دار المعرفة)

(٧)محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٠م، ج١، ص٢٤.

(حيث ذكر أن مثل القرآن كمثل ماء يأخذ منه الناس كلّ بقدره).

إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر، ط٢، ١٩٩٩م، ج١، ص٦.

(نقل عن بعض السلف أن القرآن كالسيل يأخذ منه الصغير والكبير بقدر حاجتهما).

الشريف الرضي، نهج البلاغة، خطبة رقم (١٩٨)، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، بدون تاريخ، ص٢٩٧.

(كلام علي بن أبي طالب عن القرآن: "لا يخلق من كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه").

جلال الدين السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ، ج١، ص٧.

(أثر عن ابن مسعود بأن محبة القرآن علامة على محبة الله، مما يدل على تفاوت الفهم والقرب).

(٨) يُنظر: الميزان في تفسير القرآن، الجزء: ٢، الصفحة: ٢٢٣ – ٢٢٥)، وكذلك الجزء: ٦، الصفحة: ٣٧٠ – ٣٨٠).

[٩] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م، ج١، ص٣٤وكذلك محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم: نظرات جديدة في القرآن الكريم، دار القلم، دمشق، ط٥، ١٩٩٨م، ص١١٠-١١٥، وينظر: محمد متولي الشعراوي، معجزة القرآن، دار أخبار اليوم، القاهرة، ط٣، ١٩٩١م، ص٢٢.

[١٠] الرازي، التفسير الكبير، ج١٨، ص٢٣١.

[١١] سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٤، ص٢٢٩١.

[١٢] الشاطبي، الموافقات، ج٣، ص١٠٢.

[١٣] الزمخشري، الكشاف، دار المعرفة، ج٤، ص٤٠١.

[١٤] الرازي، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، دار إحياء التراث، ج٣١، ص١٩٢.

[١٥] الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة النشر الإسلامي، ج٢٠، ص٣٢١.

[١٦] الرازي، مفاتيح الغيب، ج١، ص١٥٦.

[١٧] الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج٢، ص١٨٤.

[١٨] السيوطي، الدر المنثور، ج١، ص٢٠.

[١٩] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١، ص٦.

[٢٠] الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج٣، ص٦٠-٦١.

[٢١] الرازي، مفاتيح الغيب، ج١٨، ص٢٢٣.

[٢٢] سيد قطب، في ظلال القرآن، ج١، مقدمة التفسير.

[٢٣] الشاطبي، الموافقات، ج٢، ص٧٢.